2022

بسم الله الرحمن الرحيم

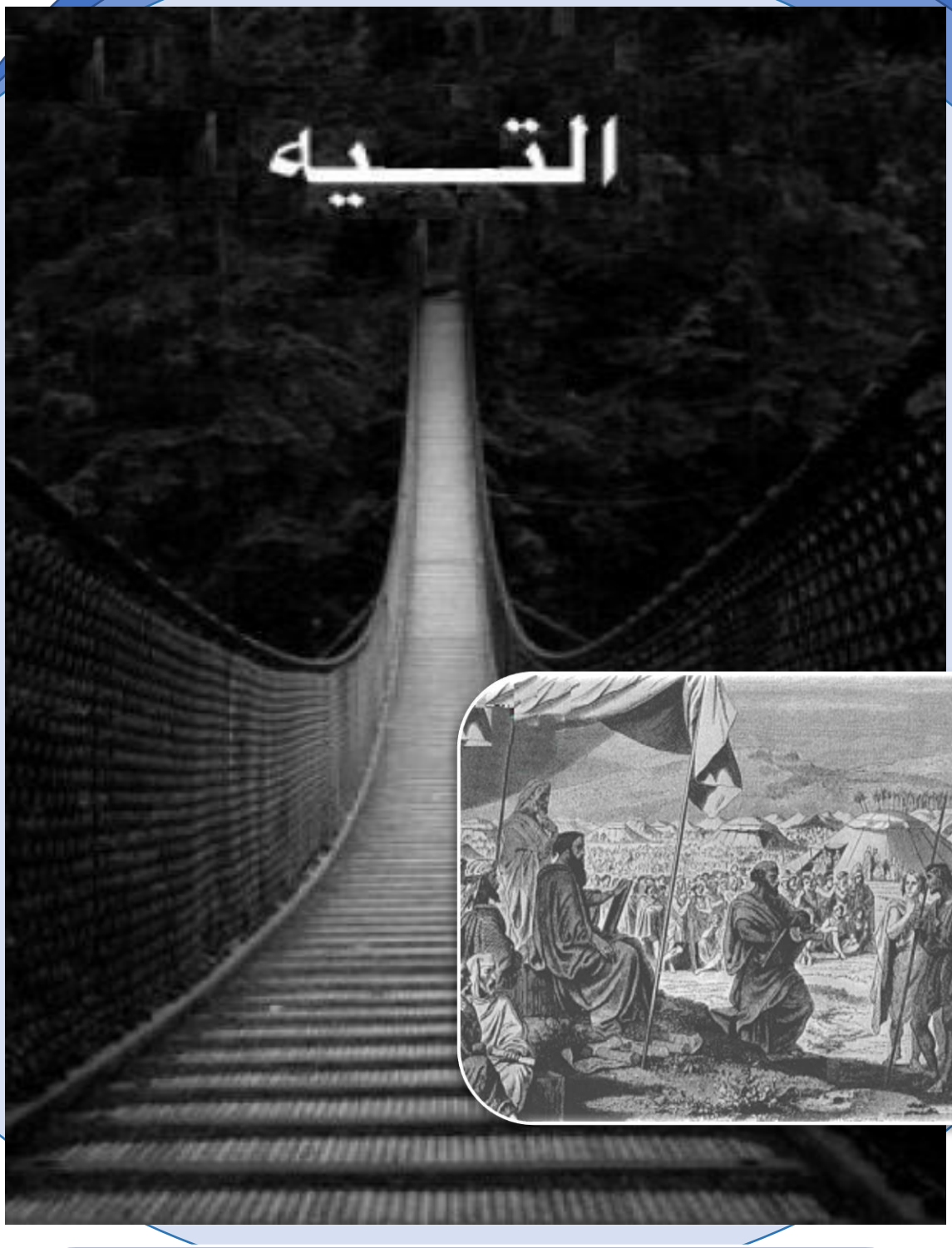

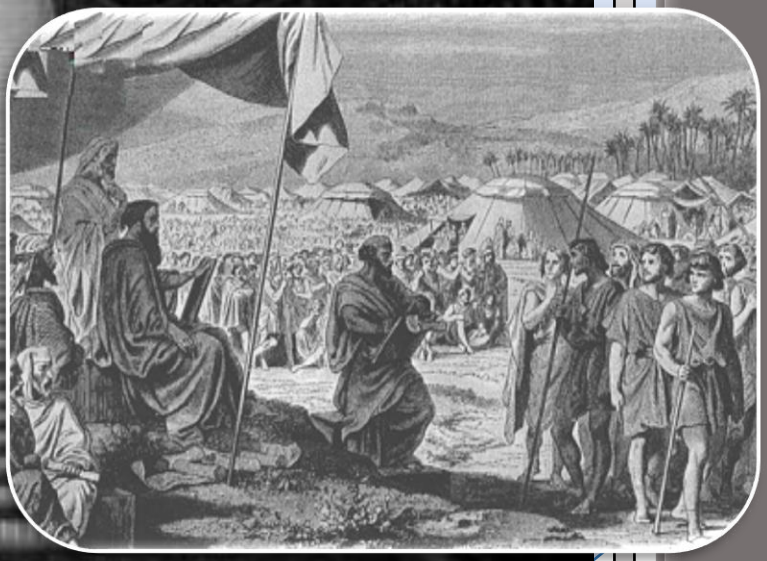

المَخرَجُ مِنْ ظُلمَةِ التّيه

أبوالحسن الحناوى

تعريف

- التَّيه يعني شرود وضلال ؛ ويعنى غيابُ الرَّشاد وتكريسُ الحَيرة والضَّياع ، فينشأ الشذوذ عن حسن التَّصرُّف وفقدان السلوك السَّوى.
- وقد يُصيبُ التَّيه فَهمَ الإنسانِ لـ "علاقته بخالقه" ، وهنا يستفحل الخطر ويتعاظم حتى يتجاوز كل الحدود ، وذاك هو التيه حقاً.

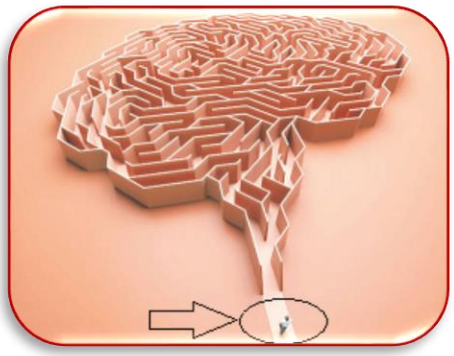

نشوء الأمة الإسلامية

- عرف أصحابُ رسول الله ﷺ شقاء العيش في التّيه والخروج منه ، فقد هُدوا إلى صراط الله المستقيم بعد أن كانت تتخطفهم الأهواء والسُبُل، ومَشوا على بَصيرةٍ بعدما كانوا يتخبَّطون في الظلمات وفي بوتقة هذا الدين انصهرت أممٌ مختلفةٌ وشعوبٌ متباينةٌ لتشكل:

نسيجاً واحداً متماسكاً أصلح دينَه ، فصلُحت له دُنياه.

بدايةُ ظهورِ الفِرَق والمَذاهِب

ومضى الزَّمانُ على انطلاقِ دعوةِ الإسلام ، واتسعت رقعةُ الدَّولة.

ـ فبرزت أفكارٌ ومناهجَ ، ونشأت في الأمّة الواحدة فرقٌ ومدارسُ مذهبيةٍ كان بينها قدْرٌ من التّباين في فهمها وتفسيرها لمسائل دينية ، منها:

جماعات سياسية كالشيعة والخوارج ، ومدارس عقدية كالجبرية والقدرية ومذاهب فقهية كالحنفية والشافعية.

ـ وقد برزت بعد ذلك مدارس شتى من صوفية إلى سلفية أو جهادية أو دعوية ، ولكل منها دعاتها ومنظروها.

قوى عالمية مؤثرة

- والمتأمل في ما يجري اليوم ، لا يستبعد وقوف قوى عالمية مؤثرة خلف صناعة وتغذية أساليب هذه الجماعات الإسلامية إمَّا عن جهل وغفلة أو عن خيانة وعمالة.
- للأسف يُقَدّم دعاةُ أى فكر إسلامي على أنَّه الفهم الصحيح والأوحد لقواعد الدين وأسسه ومبادئه .. وليس آراء شخصية.

فتلعب تلك القوى العالمية على وتر تناقضات تصنعها ، فيسهل لها نهب ما في بلاد المسلمين من خيرات وتُوجِدُ واقعاً تسوده الصّراعات ، يُساعدها على بثّ فكرة خبيثة وهي:

" إنَّ الدَّين الذي يضمُّ تحت رايته كلّ هذه التَّيارات على ما فيها من تناقضات لا يمكن أن يكون هو الدين الحق"

الدخول في نفق التيه

وعلى هذا ، فإنّ بلاد المسلمين اليوم يسودها مشهد مأساوي تطغى عليه مظاهرُ انقسامٍ عنيفٍ ، كثيراً ما يشتدُّ ليصير دموياً (تفجيرات ، قتل على الهوية ، منازعات فكرية .. الخ) .. وتؤكدُ صُوَرُهُ حالة الضَّعف والتَّبعية.

بني اسرائيل والتَّـيه

- تكرار قصة بني إسرائيل في القرآن، سببه الظُّروف التي مرّوا بها فكانت مثالاً للمجتمع البشري الممسوخ في طريقة تصرفه وتعاطيه مع الأحداث والمُستجدّات ومع الحوادث والنَّوازل.
- هاجرأبناء يعقوب من الأرض المقدسة الى مصر واستوطنوها، وإعتلى رمسيس الثاني السلطة في ظل نظامٍ عسكريٍّ مُتسلّط : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ كنوعٍ من التفرقة العنصرية تمّ استعباد بني إسرائيل التي ما زالت دَيْدَن كلّ الحُكّام المتجبّرين: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

هذا الاستعباد مَكّن رمسيس من أن يحظى بعمالةٍ مجانية قامت ببناء كثيرٍ من المنشآت الحيوية في الدولة بالسُّخرة ، ثم بعث الله موسى عليه السلام، الذي كانت مُهمته الأولى هي إخراج بني إسرائيل من العذاب الذي هم فيه نحو الأرض المقدسة: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾.

- لم يوافق رمسيس بالطبع على ذلك وتكون النتيجة جمع موسى لبني إسرائيل ، ثم عبورالمضيق البحري في معجزةٍ إلهيةٍ .. ليلحق بهم فرعون ثم يَغرق هو وجيشه ، في دِلالةٍ على أنَّ:

مصير الطّغيان الحتمي هو الزَّوال بلا شك

- رغم منّة الله على بني إسرائيل بالعبور وعدم وصول يد الطاغية اليهم
- والخروج من مصر بعد الاستعباد لهم وإذلالهم وسُخرتهم
- واصطفاء الله عزوجل لهم على العالمين في زمانهم وعصرهم
- وعونه لهم ليخرجوا من ربقة الظلم والطغيان التي كانوا يعيشون تحتها

** لم يُغيّر ذلك من الوعي الجمعي ، ولا من طريقة التفكير عندهم**

فمنْ الصَّعبِ على مَنْ وُلدَ ونَشأ في ظِلّ العُبُوديّة أنْ يستشعرَ الحرية.

ومِنْ المُستحيل على مَنْ تذوّقَ طعمَ الذُّل أنْ يعرفَ معنى العِزّةِ.

لكن جهد نبي الله لم يُفضِ إلى نتيجة ، فقد أشرك بنو إسرائيل مع الله إلهاً آخر بعبادتهم للعجل الذهبي الذي صنعوه في "صورةٍ واضحةٍ" من صور انحطاط العقل السويّ: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾.

ثمَّ بعد ذلك عندما حان موعد المعركة الفاصلة التي يجب على بني إسرائيل خوضها كي يدخلوا الأرض المقدسة فاتحين امتنعوا عن القتال مع موسى عليه السلام ، وفضلّوا القعود في "صورةٍ أخرى" من صور تمجيد الذُّل والهوان التي أصبحت تجري منهم مجرى الدم في العروق:

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ إنا هاهنا قاعدون﴾.

- ✓ لا بد إذن أن يأتي العذاب حازماً وصارماً
- ✓ ولابد أن يكون درساً تتوارثه الأجيال إلى قيام الساعة
- ✓ ولابد أن يكون عظةً وعبرةً للمتخاذلين والمتقاعسين .. وذلك بالتيه:

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

خصائص جيل التَّيه

- ❖ جيلُ التَّيه إذنْ هو جيلٌ يَقلبُ الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً
- ❖ وله تصوراته وآراؤه التي تجعله أبعد ما يكون عن الإنسانية

ـ فهو يرى أن الحياة تقتصر على الأكل والشرب والإنجاب كما أنَّ الذلَّ والهوان سِمَةٌ أساسيةٌ عنده ، وإنَّه يرى في ذلك لذةً ومتعة.

وجيل التيه هو جيلٌ بين جيلين ، وجزءٌ هامٌ في دورة حياة الأجيال البشرية ، ولذا ضرورةً حتميةً ومرحلةً فاصلةً للانتقال بأمةٍ مُعينةٍ من الذُّل للعزَّة أو العكس ، ومن سمات هذه الفترة ضياع هُوية الأمَّة وثقافتها، كما أن من سماتها محاولات الأمة المستمرة والفاشلة في آنٍ واحد لتعريف نفسها وكينونتها ، وأخيراً اقتتال أبنائها المستمر فيما بين بعضهم البعض ، وإخراج كل الحقد والظلم الذي زرعه الظَلَمَةُ والمتسلّطون بين أبناء الدَّم الواحد.

مطابقة بين الجيلين

لو استبدلت الآن كلمة "بني إسرائيل" بـ "الشعوب العربية" .. سترى كلَّ شيءٍ فيها مُتطابقاً ، إذ إنَّ الصورةَ تتكررُ حتى بعد مرور آلاف السنين على تيه بني إسرائيل ، فلقد عاشت هذه الشعوب نفس المراحل الزمنية من الظلم والعبودية نحو الحرية التي ذاقوا طعمها لوهلةً بسيطةً ثم ما لبثوا أن نكصوا على أعقابهم .. مؤثرين عودة الظلم والطغيان !!
لتبدأ فترة التيه العظيم التي نعيشها اليوم ، فكثير من جيل الآباء والأجداد كانوا من الناكصين ، حيث عاشوا مرحلة الظلم في ذروتها.
وكثيرٌ من جيل الشباب لا حول لهم وقوة.

حتمية خروج الجيل الثالث

وستظل هذه الفترة مُهيمنةً الى أن يحين أوان الجيل الثالث الذي سيخرُجُ من رحم المحنة والمعاناة ويستشعر مكمن المشكلة الحقيقي فيبدأ بتغيير واقعه المزري نحو الأفضل ..

واجبُ كلّ منّا الآن

- ✓ وواجب كل منَّا هو أن يغيّر ما بنفسه ما استطاع ، ويحاول تربية جيلٍ جديدٍ بطريقةٍ سويّة ، على معنى الحرية وعلى قيم العدالة والمساواة والتَّسامُح وغير ذلك من المعاني السَّامية.
- ✓ فهذه هي اللّبنة الحقيقية والشَّرارة الأولى التي ستغيّر من حال أمتنا، وهي التي سترسم طريقها نحو المجد والعزّة مرةً أخرى بلا شك.

أعداد وتصميم /
ابوالحسن الحناوى
فيينا في 16 من مارس 2022